التوجيه البلاغي للقراءات في سورة «الصافات»

Rhetorical Guidance of the Quranic Readings in Surah al - Saffat

Dr. Mohammed Hatem Abu Sama'an
Assistant Professor/ Al - Aqsa University - Gaza/ Palestine
msmaan2010@hotmail. com

د. محمد حاتم أبو سمعان
أستاذ مساعد/ جامعة الأقصى/ غزة/ فلسطين

Received: 3/ 12/ 2018, **Accepted:** 15/ 6/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547484
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 3/ 12/ 2018م، **تاريخ القبول:** 15/ 6/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

ملخص:

هدف هذا البحث إلى دراسة التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية الواردة لآيات سورة معينة من كتاب الله – تعالى – وهي سورة «الصافات» الكريمة، حيث حاول الكشف عن دور التوجيه البلاغي في إظهار الدلالات التي تُضْفيها على السورة الكريمة، ومدى إثرائه لمعانيها، من خلال التحليل العميق والتغلغل الدقيق في صيغ تلك القراءات. مُسْتلهمًا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي في إبراز مكامن تلك الدلالات، وقد تكشف بالاستقراء والتحليل أنَّ قراءات سورة الصافات تضمنت وجوهًا بلاغيةً مهمةً اقتضت طبيعة البحث تقسيمها إلى أربعة مباحث، وهي: الالتفات بأنواعه الثلاثة في الضمائر، وفي الأفعال، وفي الأعداد، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والمبالغة البديعة. كما خَلُص البحث أيضًا إلى أنَّ لتغاير تلك القراءات وجوهًا معنويةً دقيقةً، ودلالاتٍ رائقةً ترقى لأن تكون وجهًا من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: التوجيه، البلاغة، سورة الصافات.

Abstract:

This research deals with the rhetorical guidance of the Quranic readings in a specific Surah of the Holy Quran, which is Surah "al - Saffat". It attempts to explore the role of the rhetorical guidance in showing the signs that are given to the Surah and the extent of enriching its meanings, through delving deeper into the formulations of these readings. The research also arrives at precise meanings and clear indications of heterogeneity of readings that are tantamount to being a facet of the rhetorical miracle of the Holy Qur'an. It has been revealed by extrapolation and analysis that the readings of Surah al - Saffat included important rhetorical aspects, as approached by the two scholars al - Jazry and al - Swaitysuch, as: attention, fronting, delay, connecting disjunction and hyperbole

Keywords: *Guidance, Rhetoric, Surah al - Saffat.*

مقدمة:

ما من شك في أنَّ لتعدد القراءات القرآنية للقرآن الكريم فوائد جليلة بعد تيسير تلاوته، وتصوير معانيه، واستيعاب أحكامه، ومن أبرزها توجيه تلك القراءات، والاحتجاج بها والاستدلال منها على شتى علوم اللغة العربية. حيث انطلق العلماء والدارسون يتسابقون لكُلِّ وجهة هو موليها في دراستها وتوجيهها والاحتجاج لها أو بها؛ فظهرت أنواع لتوجيه القراءات منها: التوجيه الصرفي، والنحوي، واللغوي، والفقهي، وبزغ من بين تلك التوجيهات لونٌ يُعنى بمعاني تلك القراءات، وتلمس الأوجه البلاغية المترتبة على تغايرها واختلافها، حتى عدَّه بعض أعلام هذا العلم كالإمامين الجزري والسيوطيّ وجهًا من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ألا وهو التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الثلاثة الآتية، وهي:

1. ما أبرز القراءات القرآنية لآيات سورة الصافات الكريمة، والتي قد تحتمل توجيهًا بلاغيًّا؟
2. ما التوجيهات البلاغية الدقيقة من علوم (المعاني والبيان والبديع) لتلك القراءات القرآنية؟
3. ما أبرز الدلالات الدقيقة لتلك التوجيهات، وهل كان لمجيئها على تلك الأوجه من القراءات علاقة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم؟

أهداف البحث:

1. بيان أبرز القراءات القرآنية لآيات سورة الصافات الكريمة، والتي قد تحتمل توجيهًا بلاغيًّا.
2. توجيه تلك القراءات القرآنية توجيهًا بلاغيًّا دقيقًا وفق علوم المعاني والبيان والبديع.
3. بيان أبرز الدلالات الدقيقة لتلك التوجيهات البلاغية.
4. بيان علاقة مجيء هذه القراءات القرآنية على تلك الأوجه بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في دراسته المتخصصة في توجيه قراءات آيات سورة من القرآن الكريم بعينها ألا وهي سورة الصافات الكريمة. حيث تتبع جميع الأوجه القرائية للقراءات القرآنية الواردة في السورة الكريمة والمحتملة لظواهرَ بلاغية، ثم قام بتوجيهها توجيهًا بلاغيًّا دقيقًا، ثم أردفَ بتحليلها تحليلًا رائقًا رائعًا ماتعًا، محاولًا تلمُّس بعض أوجه الدلالة الإعجازية لبلاغة القراءات القرآنية، ومُركِّزًا علىَ الإيحاءات التي تقف خلف توجيهها البلاغي. وهذا ما يَسِمُ هذه الدراسة بالدقة، ويُميِّزُها بالتركيز على الدلالات البليغة والمعاني البديعة؛ حيث إنَّ هذه السورة لم يُدْرس توجيهها البلاغيُّ من قبل.

الدراسات السابقة:

الحقيقة أنَّ دراسات التوجيه البلاغي – بشكل عام – دراسات وافرة وقديمة قدَم البحث في آيات القرآن الكريم وتوجيهها فقهيًّا، ولُغويًّا، ونحويًّا، وصوتيًّا، وبلاغيًّا. وقد انبرى للبحث في هذا المضمار والدرس فيه جِلَّةٌ غير قليلة في العصر الحديث، وكان لأبحاثهم تلك فيه فوائد جمّة، لكنه يُلْحَظُ عليهم في ذلك أمران بارزان: الأول أنه يغلب عليها التنظير الجميل لصفحات طوال من أبحاثهم حتى إذا ما جاء للتحليل العميق لدلالات تلك الأوجه القرائية المحتملة للظواهر البلاغية ومستويات معانيها، كان الحديث أقل بكثير من المتوقع. والثاني: أنه يغلب عليها الاقتصار على بعض الآيات التي ترِدُ فيها الظاهرة البلاغية دون سائرها في مجال البحث الذي تخصص فيه. وأعظم تلك الدراسات فائدةً، وأعمقها أثرًا:

- محمد، أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية،

مكتبة الآداب (القاهرة 1998م).

ومن تلك الدراسات أيضًا:

- بوعافيه، الجيلالي، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – سورة البقرة نموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، (الجزائر2005م).

- شيخاوي، عمارية، التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري– نماذج، رسالة ماجستير، جامعة أبوبكر بلقايد، (الجزائر2014م).

- الخرَّاط، أحمد محمد، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، مكتبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (المدينة المنورة 1426هـ).

ما يتميز به هذا البحث عن تلك الدراسات:

- تناولُهُ قراءات سورة من القرآن الكريم بعينها، وتوجيهها بلاغيًّا.

- تتبعُهُ جميع القراءات القرآنية –التي قد تحتمل توجيهًا بلاغيًا – لسائر الآيات في سورة الصافات الكريمة وليس لبعض آياتها فقط.

- التحليل العميق والتغلغل الدقيق لمكامن دلالات توجيه تلك القراءات، وتلمُّس بعض أوجه الدلالة الإعجازية لبلاغة تلك القراءات.

- التركيز على الإيحاءات، والدلالات البليغة، ومعاني المعاني التي تكمن خلف تلك التوجيهات البلاغية.

منهج البحث:

وقد استلهم الباحث في بحثه هذا المنهج الوصفي التحليلي لدراسة التوجيهات البلاغية لقراءات آيات سورة الصافات وتحليلها، كما استفاد من المنهج الاستقرائي في حصر جميع تلك الأوجه المشار إليها من القراءات ثم قام بتصنيفها على الأبواب البلاغية تمهيدًا لدرسها والتغلغل في أعماقها؛ إذ إنَّ شفاءَ الغُلَّة، والانتهاءَ إلى ثلج اليقين –كما يشير الإمام عبد القاهر – لا يكون إلا بالتغلغل في مكامن الأسلوب وتجاوز حد العلم به مجملًا إلى العلم به مفصلًا والنظر في زواياه [1]؛ وصولًا للبغية والمنهل وهو بيان معانيها التي تُثري النص وتُظْهِر مكمن الإعجاز فيه.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث دراسة التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ضمن حدَّين عام وخاص، هما:

- الحدود العامة: سورة «الصافات» الكريمة.
- الحدود الخاصة: الآيات المتضمنة لقراءات تحتمل توجيهًا بلاغيًّا من قراءة لأخرى غيرها.

خطة البحث:

- تضمن هذا البحث أربعة مباحث بعد المقدمة والتمهيد وجاءت خطته كالآتي:

- الملخص.

- المقدمة: وتشمل (مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، وخطته).

- التمهيد: وجاء كمدخلٍ للبحث حول التوجيه بشكل عام والتوجيه البلاغي بشكل خاص.

- المبحث الأول: الالتفات في قراءات سورة الصافات. وتضمن أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: الالتفات لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الالتفات في الضمائر في قراءات سورة الصافات.

المطلب الثالث: الالتفات في الأفعال في قراءات سورة الصافات.

المطلب الرابع: الالتفات في الأعداد في قراءات سورة الصافات.

- المبحث الثاني: التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات. وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: توجيه التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات.

- المبحث الثالث: الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات. وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الوصل والفصل لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: توجيه الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات.

- المبحث الرابع: المبالغة في قراءات سورة الصافات. وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: المبالغة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: توجيه المبالغة في قراءات سورة الصافات.

تمهيد: بين التوجيه والتوجيه البلاغي:

لقد بزغت شمسُ فنِّ توجيه القراءات باكرةً منذ عهد الصحابة والتابعين على شكل ملاحظات متفرِّقة دعت إليها الحاجة، أو اقتضاها المقام التفسيري أو الدلالي [2]، وذلك من مثل ما رُوي عن سيدنا ابن عباس –رضي الله عنهما – أنه كان يقرأ «نَنْشُرُهَا» بالراء المُهملة وفتح النون من قوله تعالى: ﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا**﴾ [البقرة: 259]، ثم يحتجُّ لقراءته بقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس: 22]، كأنه يذهب بذلك إلى أنَّ معناها نحييها [3]. ثم اتضحت معالم هذا العلم وترسخت أصوله أواخر القرن الرابع الهجري بعد أن اختار ابن مجاهد –رحمه الله – القراء السبعة المشهورين؛ ليَبْلُغَ هذا العلم مرحلة الاستقلال والنضج على يد كوكبة من اللغويين على رأسهم ابن خالويه، وابن جني، ومكي بن أبي طالب، وأبو علي الفارسي [4].

كما استعمل العلماء منذ فجر التأليف في علم توجيه القراءات بشكل عام مصطلحاتٍ متعددةً له: كالاحتجاج، ومعاني القراءات، والانتصار للقراءات، ثم استقروا على تسميةٍ رأوها أقرب لمدلوله وبيان غرضه هي توجيه القراءات [5].

التوجيه لغةً:

مصدر للرباعي وَجَّهَ يُوجِّهُ توجيهًا. والجِهةُ والوُجْهَةُ: القبلةُ أو الموضعُ الذي تتوجه إليه وتقصده، وتوَجَّهَ إليه ذهب، وَوَجْهُ الكلام: السبيل الذي تقصد إليه [6]، أي: هو القَصدُ أو الطريقُ أو الموضع المعين من الشيء.

التوجيه اصطلاحًا:

حدَّده الإمام الزركشي بأنه: فنٌّ جليل تُعرَفُ به جلالةُ المعاني وجزالتُها، وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ [7]. أو هو فنٌّ يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات، وعللها، وحججها، وبيانها والإيضاح عنها [8]. وعليه فهو يدور حول بيان الأوجه المُحتَمَلة لقراءات المفردات والصيغ القرآنية، ثم بيان المقصود منها، وبيانَ المتواتر أو الشاذ منها، وغير ذلك.

التَّوجيهُ البلاغيّ:

هو اتجاهٌ يُعنى بالإشارة إلى الوجوه البلاغية المترتبة على تغاير القراءات واختلافها، وتَلَمُّس دورها في إثراء بلاغة القرآن بوصْفِها وجهًا من وجوه إعجازه [9].

من هنا يتبيَّن أنَّ مقامَ التوجيه البلاغيّ وميدانَه في اختيار القراءات القرآنية وتوجيهها؛ إنما يكون بغرض استشراف القيم البلاغية الفريدة المُتَميِّزة التي تترتب على تغاير القراءات وتنوعها، كمثل استقصاء جوانب المعنى، والولوج إلى أدق تفصيلاته، وتتميمًا للمعنى وتكثيفه، مع إيجاز التعبير، ومراعاة سياق اللفظ التابع لمراعاة سياق المعنى، إلى غير ذلك من الأغراض التي مرُّدها التَّدبرُ المتأني العميق، والسَّبر الشامل، ومتابعة أقوال المفسرين والشراحِ لكل قراءة على حدة [10].

ولقد حاول الأستاذ الميداني إجمال هذه الأغراض أثناء تحليله لتوجيه قراءات سورة البقرة، في: التكامل الفكريّ بأن تؤدِّي كل قراءة معنى لا تؤديه القراءة الأخرى، والتكامل في الأداء البياني بأن تكون كل قراءة تحتمل نوعًا مختلفًا من الالتفات عن الأخرى، والتنويع في الأداء الفنيّ وما يتبعه من دلالات فكرية وبيانية، ثم إثبات وجوه عربية جائزة سواء في ذلك الوجوه الجائزة في النحو أو في التصريف أو في البلاغة [11]، وهذا ما يمكن اعتباره أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ولا يفوتُنا التنبيه لأمر خطير في مقام التوجيه البلاغي للقراءات، هو أنَّه ليس من مقام هذا العلم ولا من ميدانه تفضيل قراءة على أخرى –سوى القراءة الشاذة – أو القول بأبلغية قراءة متواترة على أخرى؛ لأنَّ تلك القراءات جمعاء قد نزلت بوحي على قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأُمِرَ بقراءة القرآن الكريم بها جميعها. «والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحَّت القراءتان عن الجماعة ألا يُقالَ إحداهما أجود من الأخرى؛ لأنهما جميعا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساءُ الصحابة رحمهم الله ينكرون هذا» [12].

المبحث الأول: الالتفات في قراءات سورة «الصافات».

المطلب الأول: الالتفات لغةً واصطلاحًا:

الالتفات في اللغة:

هو الانصرافُ والتَّحويل، من التفت إذا صرف الشيء وحوَّلَهُ عن وجهه [13]. ومنه قوله عز وجل: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: 78). قال القرطبي أيَ: لتصرفنا وتلوينا عنه [14].

الالتفات في الاصطلاح:

يُعدُّ أسلوب الالتفات فنًّا من أفانين البلاغة، ولونًا من ألوان الصياغة في النظم القرآني، وفي الكلام بشكل عام، وهو «الانتقال في التعبير بالكلام بين التكلم والغيبة والخطاب» [15]، أو هو: «التعبير عن معنى من المعاني بطريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر» [16].

ولقد تعلَّقَ العرب بأهداب هذا الأسلوب البلاغي الرفيع وأكثروا منه، ونزلَ القرآن العظيم –بقراءاته – على لغتهم «والعرب يستكثرون منه ويَرَون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسنُ تطريةً لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه» [17]. وقد نبه أبو عبيدة إلى هذا الأسلوب حينما أشار إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فقال: «ومن مجاز ما جاءت به مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبة هذه إلى مخاطبة الغائب، قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾ (يونس: 22) [18].

ولكل نوع من أنواع هذا الأسلوب البلاغي فوائد لطيفة، وعبر معنوية بليغة، فعن هذا الالتفات مثلاً يقول الإمام ابن الأثير: «إنه إنما صُرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكَرَ لغيرهم حالهم ليُعَجِّبَهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم. ولو أنه قال حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية، لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة» [19].

ومن هنا سَمَّى ابن الاثير هذا الفن باسم شجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، وأن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويَتَوَرَّدُ ما لا يتورده سواه، ولما اختصت به العربية دون غيرها من اللغات لُقِّبَ بشجاعة العربية؛ لذا فإن ابن الأثير صاحب اللطائف والطرائف والدقائق البلاغية لم يرتَضِ اقتصار بلاغة هذا الفن على جريانه على التصرف في الكلام، وحسن التطرية لتنشيط السامع؛ لأنه –في رأيه – إذا لم يكن إلا تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه فإنَّ ذلك دليلٌ على أنَّ السامع يَمَلُّ من أسلوب واحد. فينتقل إلى غيره ليجد نشاطًا للاستماع. «وهذا قدْحٌ في الكلام، لا وصف له؛ لأنه لو كان حسناً لما مُلّ» [20]، وهو عنده أن الانتقال الذي يحصل في الكلام «لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تُحَدُّ بحَدٍّ ولا تُضْبَطُ بضابط» [21].

ولقد كان للالتفات حضور متميز في قراءات سورة «الصافات»، حيث تضمنت قراءاتها أنواعًا متعددةً من الالتفات، هي: (الالتفات في الضمائر من الخطاب إلى التكلم، والالتفات في الأفعال من الأمر إلى الماضي، ومن المضارع إلى الماضي، والالتفات في الأعداد من المفرد إلى الجمع [22]). وأبرز ما يهمنا في هذا الأسلوب هو ما يرشح منه من المعاني الثانية الدقيقة التي تختفي وراء تراكيبه المتعددة، ونكت بلاغية جليلة لكل آية

من شواهده، وما نلحظه من إيحاءات وإشارات لمعان قد يحتملها السياق؛ وما ذلك إلا لأن المعاني والأغراض تابعة لمقصود المتكلم، وما يريده من تنويع في أفانين الكلام.

ورغم أن أغلب دراسات توجيه الالتفات في القراءات القرآنية تركِّزُ على التفات الضمائر «ويغلب أن الالتفات في القراءات على تلك الأوجه التي تتغاير قراءتها بين أحرف المضارع (النون، والتاء، والياء) حيث تشير –بحسب الإسناد – إلى معاني التكلم والخطاب والغيبة» [23]، فإنَّنا وجدنا النوعين الآخرين لأنواع الالتفات في العربية، وهما: التفات الأفعال والتفات الأعداد، وهذا مما يشهد لسمو بلاغة قراءات هذه السورة الكريمة وتفرُّدِها.

المطلب الثاني: الالتفات في الضمائر في قراءات سورة الصافات (من الخطاب إلى التكلم).

يُذكر أن هذا النوع من الالتفات في الضمائر لم يقع البتة في القرآن العظيم من قراءة حفص عن عاصم المشهورة، لكنه وقع في عشرة مواضع فقط لقراءات قرآنية غيرها [24]، منها هذا الموضع الذي بين أيدينا في سورة الصافات الكريمة، وهو الموضع الوحيد فيها. حيث ورد في قوله تعالى: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ» (الصافات: 12).

القراءات التي وردت للفظ (عجبْتَ):

– قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عاصم: عجبْتَ (بتاء الخطاب للرسول) [25].

– قراءة حمزة والكسائي وابن أبي ليلى وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعلي بن أبي طالب: عجبْتُ (بضم التاء) [26]. أي: بضمير المتكلم لله عز وجل.

– المعنى على القراءة الأولى: أي: بل عجبت يا محمد من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة في مطلع الآية، أَوْ عجبتَ من إنكارهم للبعث، أو إعراضهم عن الحق وعماهم عن الهدى رغم ما جئتهم به من عند الله.

– المعنى على القراءة الثانية: إما على أن التعجب واقع من الله تعالى، أو تؤول على أنها صفة فعل يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه.

توجيه الالتفات بلاغيًا:

منذ البداية يبرز الدور البديع للقراءات القرآنية في هذه السورة الجليلة، إذ يُحدث الالتفات في قراءة من ضمَّ تاء الفاعل نقلةً لطيفةً في المعنى. وهي نقل التعجب إلى الذات العلية بعد أن كان لذات الرسول الأكرم؛ تعجبًا من إعراض أساطين الكفر القُرشيَّة عن الحق، وإنكارها البعث رغم ما جاءهم به من آيات بينات وعلامات نيِّرات من عند الله لعلَّهم يهتدون، لكنهم كفروا بإعراضهم وإنكارهم ولِجَاجِهم؛ فتطلَّب ذلك أشد التعجب بصيغة طريفة تدل عليه.

ذلك أنَّ القراءة الثانية تركت ضمير الخطاب ملتفتةً إلى التكلم جاعلةً التعجبَ صادرًا من ذات الله الأعلى؛ وفي ذلك تصعيد لدرجة التعجب من أفعال أولئك المُنكرين المعرضين إلى أقصى درجة؛ فالقراءة هنا تضعُ المخاطبَ أمام حالة تعجُبِيَّة غير عاديّة البتة، إنها تثير تعجب البارئ الأعلى سبحانه؟

وربما كان هذا أحد الدقائق والأسرار الخفية المُتَضمَّنَة في الآية، والتي أشار إليها الإمام الفخر الرازي من طرف خفيّ؛ فهي تثير في نفس المخاطب استفهامات تعجبيةً عديدةً من قبيل: هل يرفض أحد الهداية والرشاد إلى العَمى والضلال؟! ألا يكفي بالله شهيدًا على دعوة الإسلام تلك؟! ثم ألم يكن في المعجزات الحسية السابقة في مطلع السورة دليلًا حسيًّا دامغًا على صدق الدعوة والداعي؟!

ولقد ثبت في وحي السنة النبوية المطهرة إثباتَ العجب له سبحانه، في غير موضع كقوله – صلى الله عليه وسلم–: «عجب ربُّكم من شابٍّ ليس له صبوة» [27]، وقوله في حديث الأنصاري وزوجه: «عجب الله من فعَالِكُمَا» [28]؛ وعليه لا حجة لمن قال أن نسبةَ التعجب على الله مُحَالَ [29]. ثم إنَّ التعجب من الخالق ليس كالتعجب من المخلوقين بالطبع كالحال ذاتها في إثبات بعض الأفعال للمولى الجليل من مثل: أفعال المكر، والخديعة، والسخرية [30]؛ فهي مجموعة تُؤَوَّلُ على أنها صفات أفعال يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه. وهذا ما تواتر عليه البلاغيون المتأخرون بشأن أسلوب التعجب في أنَّ مجيء التعجب من هذا القبيل إنَّما يُصرف إلى المخاطبين، وأطلقوا عليه مصطلح التعجيب [31].

ثم إنَّ في قراءة تاء الخطاب هذه –بالضم – تطريةً لذهن السامع –كما أردف البلاغيون – ناشئة عن الانتقال في المعنى الواحد من صورته الشائعة إلى صورة أخرى طريفة غير شائعة منه، وهي الانتقال من تعجب المخلوقين الشائع إلى تعجّب الخالق. ثم خُذ بعد ذلك تنشيطًا واستدرارًا لذهن المتلقي حول صورة المعنى الدقيقة تلك. تتمثَّل في حشد الذهن لقريحته بأَنْ هَلْ سيكون المُتَعجَّبُ منه واحدًا أم متعددًا بعد تعدُّد المُتَعَجِّبْ، وَهَلْ يُؤَكِّدُ الخطابُ في التعجب –عجبْتُ – الاستفهامَ التقريريَّ في الآية السابقة [32]، إلى غير ذلك من التساؤلات التي يثيرها الالتفات للمتأمل في بلاغته، من هنا رأينا الإمام الفراء يُعلن تفضيله لهذا الوجه من القراءة صراحةً في قوله: «قرأها الناسُ بالنصب، ورفعُها أحب إلي؛ لأنها قراءة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس» [33]؛ فلا شكّ أنَّ مصدر اختيار هذين العَلَمين من كِبَار الصحابة لهذه القراءة ناجمٌ عما لها من دلالات وإثراءات معنويةٍ بليغة.

المطلب الثالث: الالتفات في الأفعال في قراءات سورة الصافات.

تتعدد ألوان هذا الالتفات بين الفعل الماضي والأمر والمضارع إلى ستة ألوان، ورد منها في قراءات سورة «الصافات» اثنان فقط، أولهما: الالتفات من الأمر إلى الماضي، وهذا النوع من التفات الأفعال لم يرد في قراءة الإمام عاصم من رواية حفص المشهورة، بل ورد في قراءات غيرها بلغ عددها خمس آيات [34]. منها هذا الموضع في سورتنا الكريمة، وهو الموضع الوحيد فيها، وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (الصافات: 18).

القراءات التي وردت فيها:

– قراءة الجماعة: (قُل) على الطلب [35].

– قُرئ: (قالَ) فعلًا ماضيًا [36].

– المعنى على قراءة الطلب: أي: قل لهم يا محمد نعم

ستبعثون.

- المعنى على قراءة المُضِيّ: أي: قال الله أو رسوله: نعم تبْعثون وأنتم صاغرون [37].

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

إنه وبعد إمعان النظر وإنعامه في سياق الآيات السابقة نرى أنَّ قراءة الالتفات بالمضي عن الأمر مُناسِبةٌ تمامَ المناسبة للمعنى الذي كان يدور حوله السياقُ القرآنيُّ من إثبات وقوع إعادتهم أحياء بعد موتهم وفنائهم في تراب الأرض، إثباتًا بالدليل القاطع «فلما قامت المعجزات على صدق محمد – صلى الله عليه وسلم – كان واجب الصدق فكان مجرد قوله: «قَالَ نعم» دليلًا قاطعًا على الوقوع» [38]. ذلك أن أبرز دلالات الفعل الماضي هو تحقق الوقوع فكأنَّ تحقق وقوع بعثهم، ونشرهم بعد موتهم أمر واقعٌ لا محالة، ولا جدال فيه تمامًا كوقوع الفعل الماضي وتحققه. وهذا يلتقي مع أبرز أغراض الالتفات في العربية ألا وهو مناسبة سياق الخطاب ولفظه للمعنى المطروق.

كذلك فإنه وبعد النظر في دلالة فعل الأمر الزمنية نجد أنها أوسع من دلالة الماضي فـ «قد يكون فعل الأمر دالًا على الاستقبال المطلق سواء أكان الاستقبال قريبًا أم بعيدًا، وقد يكون دالاً على الحال، وقد يكون الأمر حاصلًا في الماضي» [39]، وهذه الدلالة الأخيرة –أي الحاصل في الماضي – عبَّر عنها الإمام السيوطي بلفظ دوام ما حصل «والأمر مستقبل أبدًا لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل كقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب/ 1]» [40].

وعليه فإنَّ قراءة الجمهور «قُلْ» تحمل معنى الاستقبال لقول نَعَم لأولئك المنكرين، كما تحمل دلالة حصول هذا القول لهم في الماضي، مع دوام تلك الإجابة وذلك الوعيد بالبعث والحساب، مع أشدِّ الذل وبالغ الصَّغار الآن وفي غيره من الأوقات، بينما تقتصر دلالة القراءة الثانية (بالفعل الماضي) على حصول ذلك القول لهم وسبْقه للزمن الحاضر؛ فتكون القراءة القرآنية هنا قد حدَّدت دلالة بعينها، وانفردت بوصف جزءٍ من أجزاء المعنى المُراد.

وثاني أنواع التفات الأفعال في قراءات هذه السورة الكريمة هو الالتفات من المضارع إلى الماضي، حيث يُعدُّ هذا اللون من الألوان البديعة للالتفات؛ لما يمتلكه من خصوصية في حيوية الأسلوب ودقة أدائه للوظيفة المعنوية، وهو في الوقت نفسه ظاهرةٌ بلاغيةٌ تُعَبِّرُ عن تحقق الوقوع للحدث تحقُّقًا قاطعًا لا شك فيه «والقصد من ذلك أن هذه الأحداث متحققة الوقوع مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي، فكما أنه لا شك في حدوث الفعل الماضي الذي تم وحصل كذلك لا شك في حدوث هذه الأفعال؛ إذ هي بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع» [41].

وورد هذا الالتفات في قراءات سورتنا هذه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102).

القراءات التي وردت فيها:

- قراءة الجماعة: افعل ما تُؤْمَر (42)، بصيغة المضارع المبني للمجهول للمخاطب من أَمَرَ: يأْمُرُ، تُؤْمر.

- قراءة ابن مسعود: افْعَلْ ما أُمرتَ به [43]، بصيغة الماضي المبني للمجهول من أَمَرَ، أُمِرَ، ثم إسناده لتاء الخطاب (الفاعل).

- المعنى على القراءة الأولى: أي نفِّذ ما تؤمر به الآنَ، فحذف الجار والمجرور [44].

- المعنى على الثانية: أي نفِّذ ما سبق من الأمر الذي صدر إليك.

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

في هذه الآية نجد أنَّ قراءةَ الجمهور تُؤَمر بفعل المضارعة مُنَاسِبَةٌ لفعل المشورة السابق «ترى» في الجملة القرآنية السابقة وهي «فانظر ماذا ترى»، كذلك فهي بالمضارع تراعي أيضًا فعل الوجود اللاحق «ستجدني» في «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ»، بالإضافة إلى دلالاته البليغة، **وأما القراءة بالفعل الماضي المبني للمجهول فتشير إشارات بليغات وتدل على معانٍ سامقات أُخَر، فهي:**

- أولًا: تشير إلى تحقق الأمر وحتميَّته من جهة دلالة الماضي على الحدُوث والانقضاء، ثم إنها تفيد أسبقيَةَ الفعل المأمور به وهو الذبح لسيدنا إسماعيل – صلى الله عليه وسلم–؛ فقد أمره الله تعالى قبل وقوع الحادثة في المنام ورؤيا الأنبياء وحيْ كاليَقَظة [45].

- وثانيًا: أنَّ الفعل الماضي يدل دلالة قاطعة على حصول الأمر وتحَقُّقِه وثبوته من الله تعالى لسيدنا إبراهيم بذبح ولده، بخلاف الفعل المضارع الذي قد يحتمل دلالة الأمر بالذبح وحده دون احتمال الإثبات أو التَّحَقُّقْ.

- ثالثًا: أنَّ هذه القراءة بالعدول إلى الماضي يصح الاستدلال بها على إثبات حكم في أصول الفقه هو: «جواز نسخ الحُكم قبل حضور مدة الامتثالْ» حيث إنَّ حكم الذبح قد نُسِخَ في حق سيدنا إسماعيل وأثبتَ في الفداء بكبش عظيم. وهذا ما عليه جمهور الفقهاء غير المعتزلة وبعض فقهاء الشافعية [46]؛ لذا فقد أنكر هؤلاء الأمرَ بالذبح مُثْبِتينَ الأمر بمقدمات الذبح فقط على قراءة المضارع، فلما جاءت هذه القراءة للآية الكريمة بالماضي «افعل ما أُمِرْت» دلَّت على تحقق الأمر السابق بالذبح؛ فصَحَّ الاستدلال بها على صحة تلك القاعدة الأصولية من جواز نسخ الحكم قبل حضور مدته وإثباتها.

فانظر بعد ذلك إلى بديع بلاغة القراءات القرآنية من دلالة مناسبة القراءة –بالمضارع – للسياق اللفظي للآيات السابقة واللاحقة، ثم الدلالة على تتميم المعنى وتحقيقه بقراءة الماضي، والإعانة على التفسير، والإحاطة بالمعنى من جميع جوانبه، والمناسبة للسياق اللفظي فالماضي في بداية الآية (قال) تناسبُه قراءة الماضي «أُمِرْتَ»، مع دلالتها على شيء ثابت قُضي وحُتِم وهذا جوهر من جواهر الالتفات في العربية من مناسبة الفعل للمعنى المطروق أو المُراد. ثم جوهر آخر نفيس للالتفات في القراءات القرآنية هو الاستدلال على صحة حكم أُصوليٍّ فقْهيٍّ وهذا من أجد الجديد لفوائد ومزايا دراسة التوجيه البلاغي لقراءات القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الالتفات في الأعداد في قراءات سورة الصافات (من المفرد إلى الجمع):

أشار البلاغيون إلى مثل هذا الالتفات في مباحثهم البلاغية، وأوردوه بالتسمية ذاتها التي أوردناها فيه، راصدين الآيات

القرآنية التي برزت فيها هذه الظاهرة الأسلوبية، ومحاولين الوقوف على ما تنطوي عليه هذه الأساليب، وما حوته من وجوه بلاغية كان لها الأثر الكبير في تلون الخطاب والكلام في القرآن الكريم. جاء في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه، ووقع معنى هذا الواحد على الجمع، قوله تعالى: ﴿ثم يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ في موضع أطفالًا» [47].

أما هنا فقد كان الالتفات في الأعداد بين وجهين من وجوه القراءات لآية واحدة، حيث ورد هذا اللون من الالتفات في قراءات سورتنا الكريمة عند قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: 163).

القراءات التي وردت فيها:

- قراءة الجماعة: (صالِ) باللام المكسورة، وأصلُهُ (صالي) اسم فاعل، وحُذفت منه الياء لعلة الرسم العثماني [48].

- قراءة الحسن وابن أبي عَبْلة: وهي بضم اللام (صالُ) أو (صالو) بالواو [49].

- المعنى على القراءة الأولى: على الإفراد، أي: أنكم لا تحملونَ بضلالِكم على الفتنة والإضلال غيرَ صالِ النار.

- المعنى على القراءة الثانية: على الجمع، أي لا تحملون على الضلال إلا صالوْ الْجحيم منكم، وحذفت النون للإضافة. أو بحذف الواو أيضًا –لعلة التقاء الساكنين – وبقاء الضمة دليلا عليها على قراءة من قرأ (صالُ).

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

إن التعبير عن المفرد هنا بلفظ الجمع –صالُ – ليرتقي إلى أعلى درجات سلم البلاغة العربية وأروعها، وهو تغليب مراعاة جانب المعنى على مراعاة جانب اللفظ، وليس معنى تغليب جانب المعنى إهمال اللفظ أو عدم مراعاته؛ فلكلٍ ميزة وموضع. بل إنَّ هذا من بديع أفانين الكلام وضُروبه؛ فالآية السابقة غَلَّبت جانب اللفظ بضمير الجماعة في «أنتم» من قوله: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (الصافات: 162)؛ ليُناسبَ سياق الجمع في ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات: 161) ثم جاءت القراءة الثانية لهذه الآية لتُغَلِّب مراعاة جانب المعنى «صالوا»، «فإن قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله «مَنْ هو» – أي المفرد – قلنا: مَنْ مُوحَّدُ اللفظ مجموع المعنى؛ فحُمِلَ هو على لفظه والصالون على معناه» [50] أي أنَّ القراءة الأولى بالإفراد «صالِ» قد راعت لفظ المفرد المتقدم «مَنْ هو»، بينما راعت القراءة الثانية جانب المعنى بعدولها إلى الجمع «صالو» حيث إن السياق سياق جمع لا إفراد في قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (×) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (الصافات: 161 – 162). وهذا أيضًا من أبرز الوجوه البلاغية لتعدد القراءات للآية الواحدة وهو مراعاة جانب اللفظ والمعنى وهو كثير في النظم القرآني، كمثل قوله: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8).

كما أنَّ لفظ الجمع الذي جاءت به قراءة غير الجمهور يوحي من طرف آخر بالدلالة على الكثرة لأولئك الصالين الجحيمَ المفتونين من الذين يُضلُّونهم، وهذه الكثرة نَشَمُّها من رائحة لفظ «فاتنين» ومعناها من الضلال والإضلال [51] استنادًا للفظ الكثرة وجمعًا معه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: 116) [52].

ثم إنه وبعد الجمع بين وجهي قراءة هذه الآية فإنها تلفت المتمعن في عدولها للفظ الجمع إلى معنى المساواة في ذلك المعنى المطروق، وهو اصطلاء النار لجميع أولئك المفتونين بدعوة الكفار والمُضلين على طريقة إفراد لفظ «الضيف» في سياق الجمع «مكرمين» عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات: 24) ؛ ليدل دلالة أكيدة على أهمية بل وجوب مساواة المُضيف في حق الضيافة بين ضيوفه جميعهم بألا يلتفت إلى أحدهم أو يهتم له دون الباقين [53].

كما ورد هذا اللون من الالتفات في قراءات هذه السورة أيضًا عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: 171).

القراءات التي وردت فيها:

- قراءة الجمهور: (كلمتُنا) على الإفراد [54].
- قراءة الضحاك: (كلماتُنا) بالجمع [55].

- المعنى على الأولى: ولقد سبقَ وعدُنا لعبادنا المرسلين، فلما انتظمت الوعود التي وعدها الله المُرْسلين في معنى واحد عبَّر عنها بالإفراد.

- المعنى على الثانية: ولقد سبقت مجموعة وُعود لعبادنا المرسلين، هي: الوعد بعُلُوِّهم على عدوهم، والوعد بعلوهم في ملاحم القتال في الدنيا، وعُلُوِّهم عليهم في الآخرة [56].

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

لما تركت قراءةُ الضحاك المفردَ إلى الجمع في الوعود لزم من ذلك نفي انهزامهم، أو نفيَ علوهم في بعض المشاهد؛ لما قد يُتَوهم –على قراءة الإفراد – أن علوهم ونصرهم على عدوهم إنما سيقع مرة واحدة أو في شيء دون آخر، أو سيتحقق في الآخرة فقط دون الدنيا لما شاب حياتهم من عظيم الابتلاء والمِحَن. وعليه يكون الالتفات قد حَمل دلالة تكميل معنى القراءة الأولى وغرضها، وكذلك احترست من بعض الفهم الخاطئ للوجه الآخر من القراءة وتلك حكمة بالغة فسبحان من أنزله على سبعة أحرف.

ثم إن هناك ملمحًا آخر من ملامح استدرار هذا الالتفات الذي جاءت به القراءة الثانية لإصغاء المستمع بعقله والمتدبر بقلبه، ومكمن من مكامن تنشيط ذهنه معنويًا هو ما حملَهُ هذا الالتفات من مناسبة تامة للَفظ الآيتين اللاحقتين في سياق الجمع (كلماتنا –هم– المنصورون – الغالبون»، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنْصُورُونَ (×) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: 172 – 173)، حيث إنَّ سياق الجمع هنا أبلغ في مقام تقوية قلب النبي والمؤمنين وبشارتهم، بعد بيان عاقبة كفر أولئك الفاتنين المفتونين [57].

المبحث الثاني: التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات.

ويتضمن مطلبين.

المطلب الأول: التقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا.

التقديم لغة: من قدم الشيء أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك [58].

والتقديم والتأخير اصطلاحٌ أُطلقَ على أحد أساليب العرب في كلامهم، ومظهَرُهُ زوال اللفظ عن مكانه، فيتقدَّم أو يتأخَّر، وهذا التعريف من حيث هو أسلوبٌ في لغة العرب، أما تعريفه من حيث إنه أسلوب قرآني، فإنه سيكون حينئذ أوسع من التعريف السابق فقد أُطلق التقديم والتأخير في القرآن الكريم على القارِّ في مكانه، كما أُطلق على المزَال [59].

فالأصل أن تُرتَّبَ الألفاظُ في الجمل حسب ترتيبها الطبيعي، ولكن قَدْ يَعرُض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير؛ فيكون من الحَسَنِ تغيير هذا ليكون المُقدَّمُ مشيرًا إلى الغرض الذي يراد، ومُتَرجِمًا عما يقصد منه.

من أجل ذلك وَسَمَ الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا الباب بأنه «كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعُه، ويلطُفُ لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطُفَ عندك أنْ قُدِّمَ فيه شيء وحُوِّلَ اللفظ من مكان إلى مكان» [60].

ويُعَرِّضُ بالذي يقصر عن تعرف الغاية منه في موضع آخر، فيقول: «وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: «إنه قُدِّمَ للعناية، ولأَنَّ ذكره أهم، من غير أن يُذْكَرَ من أين كانت تلك العناية؟ وبمَ كان أهمَّ؟ ولتخيُّلهم ذلك صَغُرَ أمر التقديم والتأخير في نفوسهمَ وهوَّنوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبُّعَه والنظرَ فيه ضربا من التكلُّف. ولم تر ظنًا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه» [61].

فالحقيقة أنَّ للتقديم والتأخير أسبابًا ودواعيَ ومقتضيات كثيرةً، يتفنن المتكلم بإبرازها وقد ذكر منها البلاغيون الشيءَ الكثير، كما أنها هي الباعث الذي جعل الإمام عبد القاهر يُعلي من أهمية هذا الفنّ إلى مبلغ إظهار وجه من وجوه إعجاز القرآن «وليت شعري إن كانت هذه أمورًا هينة، وكان المدى فيها قريبًا، والجدى يسيرًا، فمن أين كان نظمٌ أشرفَ من نظم؟ وبم عظُمَ التفاوت واشتدَّ التباينُ وترقَّى الأمر إلى الإعجاز، وإلىً أن يقهر أعناق الجبابرة» [62].

المطلب الثاني: توجيه التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات.

هذا وقد كان للتقديم والتأخير حيّزٌ في توجيه القراءات القرآنية لسورة الصافات عند قوله تعالى: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ (الصافات: 16)، والشيء ذاته تكرر في السورة ذاتها مع قوله تعالى: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ (الصافات: 53).

القراءات التي وردت فيهما:

- قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر ويعقوب: (أإذا متنا. . . إنَّا لمبعوثون) استفهامًا ثم إخبارًا [63].
- قراءة ابن عامر: (إذا متنا. . . أإنا لمبعوثون) إخبارًا ثم استفهامًا [64].
- قراءة الباقين: (أإذا متنا. . . أإنَّا) بالاستفهام فيهما [65].

ويظهر أن التقديم والتأخير بين القراءتين الأوليين، وهما قراءة غير الجمهور.

- المعنى على الأولى: هل بعد موتنا وكوننا عظامًا ورفاتًا نُبْعث من جديد؟ [66].
- المعنى على الثانية: بعد موتنا وكوننا رفاتًا وعظامًا، هل سنبعث من جديد؟

توجيه التقديم والتأخير بلاغيًا:

نلاحظ أنه في القراءة الأولى قد تقدم الاستفهام الإنكاري على الجملة الخبرية «إنَّا لمبعوثون»، أما في القراءة الثانية فقد تقدم الخبر بالظرف [67] عن كون الأجساد رفاتًا وعظامًا باليةً على الاستفهام الإنكاري عن البعث والنشور. وبالنظر إلى أساس الاستفهام القائم على أن المُسْتفْهَمَ عنه يلي الهمزة الاستفهامية مباشرة [68]؛ فإنه تتجلى لنا الحقيقة التالية من الفرق بين القراءتين. وهو أنَّ تقديمَ الاستفهام في القراءة الأولى أغرقُ في إنكارهم للبعث والنشور يوم القيامة من القراءة الأخرى؛ لأن الإنكار بالاستفهام فيها متوجِّهٌ إلى الاستغراب من حالة الرفات والفتات والتراب الذي آل إليه الجسد الإنساني بعد موته، إذ كيف لمن يرى ترابًا باليًا أن يعود خلقًا جديدًا؟ فهي حالة مستحيلة –في نظرهم – للإعادة أو البعث، وليس الإنكار للإعادة ذاتها.

أما على القراءة الثانية فإن الإنكار بالاستفهام بعد أن تأخرَ توجهَ إلى استبعاد الإعادة نفسها والنشور ذاته، أو توجه إلى قدرته تعالى على نشرهم يوم القيامة سواءً في ذلك أكانت أجسادهم بالية أم غير بالية، فهو لم يتوجه إلى حالة أولئك المنشورين المنافية للحياة وهي حالة الرفات والتراب، بل توجه إلى الإعادة ذاتها. وعليه فالذي يَستنكرُ حالة البلاء والفناء تلكَ من الرُّفات وبقايا ناخرَة العظَام استنكارًا شديدًا واستغرابًا أشدّ، ليحملَ إنكارًا ضمنيًّا أقوى للإعادة نفسها؛ حيث إنه استدل على إنكار الإعادة بإنكار حالة من حالاتها وهي بقايا عظامهمُ النخرة، أما لو أيقنَ بحالة البلاء والرفات تلكَ لكانَ إنكارُهُ أقلَّ؛ لأنه سيكون في هذه الحالة جاحدًا لقدرة الله على الإعادة فقط وهو في هذه الحالة معلوم الكذب والجحود. وعبثًا تحاول الوصول لهذا المعنى الدقيق في كتب الشراح والمفسرين غير إشارة الإمام الألوسي في تعقيبه على تقدم الاستفهام على الظرف إذا: «فتقديم الظرفية لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية المنافاة» [69].

أما قراءة الجمهور ذات الاستفهامين ففيها مزيد من المبالغة والتشديد على إنكارهم للبعث والنشور من وجوه، هي: تكرار الاستفهام الإنكاري، وتقدم الاستفهام على الظرف كما في القراءة الأولى، وتقدم الاستفهام على الخبر كما في القراءة الثانية.

وعليه تكون القراءة الثانية قد أَثْرَت المعنى، وانتقلت به إلى جانب آخر منه هو جانب الإنكار العام للقضية دون النظر إلى تفصيلاتها أو تفصيلات حالة جزئية منها، هذا بالإضافة إلى أن الاستفهام الإنكاري في القراءات الثلاث للآية الكريمة هو من نوع الإنكار التكذيبيّ لمنكري البعث أولئك أو لزاعمي إنكاره؛ إذ إنَّ ما أنكروه أمر حتميّ الوقوع لكنهم كذَّبوه، وإنْ كان لما يقع بعد.

المبحث الثالث: الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الوصل والفصل لغةً واصطلاحًا.

الوصل والفصل لغةً: الوصل ضدُّ الهُجران، والوصل خلاف الفصل، ووصل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلًا وصِلةً وصُلةً

[70]، والفصل بَوْنُ ما بين الشيئين، وفصل بينهما يفصل فصلًا فانفصل [71].

الوصل والفصل اصطلاحا: الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه [72]. وللفصل والوصل مكانةٌ رفيعة وموقعٌ متميِّزٌ في البلاغة العربية لا يرقى إليه إلا من أوتيَ طبعًا سليمًا وذوقًا صحيحًا، بل إن لدقة مسلكه وبُعدِ غَورِه جعله البعض حدًّا للبلاغة وربما قصروها عليه دون سواه، فقالوا: البلاغة معرفة الوصل والفصل [73].

وإذا كان أصل هذا الفن قائمًا على باب العطف في النحو، فإنَّ البلاغيين درسوا العطف بين الجمل فصلًا ووصلًا، وما يتطلَّبُه ذلك من أحوال توجب الوصل أو توجب تركه، وما يترتب على هذا وذلك من أحكام ودلالات. ولا يحسبَنَّ ظانٌّ أن عطف الجمل هذا بعضها على بعض، أو تركها مفصولةً بغير عطف أمرٌ بسيطٌ ميسور، بل هو «مما لا يتأتَّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلَّص، وإلا قومٌ طُبعوا على البلاغة، وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد» [74].

المطلب الثاني: توجيه الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات.

وقد ورد هذا اللون من بلاغة الجمل في قراءات هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: 11).

- **القراءات التي وردت فيها:**

– قراءة الجمهور: (أَمْ مَّن) كلمتان أَمْ ومَنْ، وهي أم العاطفة المتصلة، عَطَفت «مَنْ» على «هُم» [75].

– قراءة الأعمش: (أَمَن) بتخفيف الميم دون أم، جعله استفهامًا ثانيًا بعد الاستفهام الأول «أَهُمْ» [76].

– المعنى على الأولى: هل هُم أقوى خلقًا أم المخلوقات التي خلقناها؟ على أنها جملة واحدة تضمنت استفهامًا واحدًا.

– المعنى على الثانية: هل هُم أقوى خلقًا من المخلوقات التي خلقناها؟ أم هل المخلوقات التي خلقناها أشدُّ وأقوى؟ على أنهما جملتان مستقلتان تضمنت كل واحدة منهما استفهامًا تقريريًّا. «ومَنْ مبتدأ وخبره محذوف تقديره «أشدّ»، «فهما جملتان مستقلتان في التقرير، وعلى (أَمْ مَّنْ) فهو تقرير واحد» [77].

- **توجيه الوصل والفصل بلاغيًّا:**

وهنا أيضًا نرى بلاغةً سامقةً وفصاحةً عُليا للقراءة الثانية بالفصل بين الاستفهامين في الآية الكريمة؟ فالفصل جعل هناك مجالًا لاستفهام آخر يكون فيه التركيز على مخلوقات المولى الجليل المتقدمة من الصافات، والزاجرات، والتاليات، والأرض والسموات، وغيرها مما نعلم ومما لا نعلم، بأنها هي الأقوى والأشدّ. تقريرًا آخر خرج إليه الاستفهام الثاني بعد فصله عن الاستفهام الأول –على القراءة الأولى بالوصل – الذي كان تركيزه على المنكرين أنفسهم «أَهُمْ؟ » وإن كان غرضه أيضًا تقرير معنى ضعفهم؛ ليشير هذا الفصل من طرف خفيّ إلى الفرق الجوهري بين خلقهم الضعيف [78] –من الطين – وبين قوة خلق مخلوقات الله الأخرى.

يتبين ذلك الفرق من إضراب الذكر صفحًا عن الاستفهام الأول الذي ركزَّ عليهم أولًا إلى استفهام ثانٍ كان التركيز فيه على الأقوى والأشد فعلًا «أَمَن خلقنا؟ ». حيث إنَّ الغرض التقريري لهذا الاستفهام يكون بالنظر أولًا في قوة المخلوقات الأخرى، وعظمتها، وإحكام صنعتها على ذلك العِظَمْ، حتى إذا ما حار اللب من شدة متانتها، واندهش البصر من حسن تصويرها، وأُسْقِطَ في الرُّوْع من روعة قوتها؛ أقرَّ المُخاطب بقوتها، دون حاجة للتفكر في المَقابل الذي هو خلق البشر الضعيف! وفرقٌ بين هذا التقرير ذي المبالغة الحسنة وبين التقرير الذي خرج إليه الاستفهام الكليّ في وصل الجملتين، القائم على التفكر والتأمل في خلق البشر أولًا؛ لأنه يستلزم العَوْدَ للتفكر في خلق المخلوقات الأخرى للمقارنة. وهذا ما قرَّرَهُ الحق تعالى في موضع آخر من محكم تنزيله، في قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: 57).

المبحث الرابع: المبالغة في قراءات سورة الصافات.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: المبالغة لغةً واصطلاحًا.

المبالغة لغة: بالَغَ يُبَالِغُ مُبالغةً وبلاغًا إذا اجتهد في الأمر، والمبالغةُ أن تبلغَ في الأمر جُهْدَك، ويُقال: بُلِغ فلانٌ أي: جُهِد [79].

المبالغة اصطلاحًا: تُعدُّ المبالغة غرضًا من أغراض الفنون البلاغية الأخرى كالاستعارة، والتشبيه، والإطناب، وغيرها، كما عدَّها البعض فنًّا بديعيًّا قائمًا بذاته. وإنما كانت دراسة علماء البلاغة للمبالغة لبيان مدى تفاوتها قوة وضعفًا، ومتى تُقبلُ في الكلام ومتى ترد. وأول من تحدث عنها ابن المعتز وسماها «الإفراط في الصفة»، وأول من سماها المبالغة هو قدامة بن جعفر [80].

وهي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حدًا مستحيلًا أو مستبعدًا [81]، ومثلوا لها بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ (الحج: 2)، حيث خصَّ المرضعة دون سائر النساء بالذهول والنسيان؛ مبالغةً في النسيان والغفلة من هول الموقف؛ لما في نفس المرضعة من شدة إشفاق وملازمة وقُرب من رضيعها. فإذا كان هذا حال المُرضعة [82] فكيف بحالِ غيرها.

المطلب الثاني: توجيه المبالغة في قراءات سورة الصافات.

يُذكرُ أنَّ التوجيه البلاغي للقراءات قد عُنيَ بأمر المبالغة منذ مرحلة باكرة، بل أسهم – مع غيره – في بيان ملامحها العامة، حيث كان تركيز المُوجهين منذ القدَم على تغاير صيغ الكلمات المفردة، بأَنْ يُعْدَل عن الأصل فيها للدلالة على المبالغة في المعنى أو تكثيره، وقد بُني هذا في كثير من صوره على قاعدتهم المتعارف عليها من أنَّ زيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى [83].

ولقد توشحت هذه السورة العظيمة بوشاح جليل جميل من المبالغة المعنوية البديعة وُسِمَت به معاني هذه السورة، حيث وردت في قراءاتها بشكل لافت بالنسبة إلى غيرها من ألوان البلاغة وأفانينها الأخرى، ومن مواضعها ذلك الذي عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ (الصافات: 177).

- **القراءات التي وردت فيها:**

– قراءة الجمهور: (نَزَلَ) مبنيًّا للفاعل [84].

- قراءة عبد الله بن مسعود وأبي عمران الجَوني وعاصم الجُحدري وابن يعمر: (نُزِّلَ) مشددًا مبنيًّا للمفعول [85].

- المعنى على الأولى: أي: نَزَلَ العذاب بساحتهم.

- المعنى على الثانية: أي: أنزَلَ شيءٌ العذابَ الكثيرَ العام بساحتهم.

- **توجيه القراءة بلاغيًّا:**

أما قراءة الجمهور بالتخفيف فعلى أصل الإخبار بنزول العذاب بساحتهم، وأما نُزِّلَ فعلى أنَّ التضعيف للتكثير والمبالغة، وهذا يعني انتشار العذاب لكثرته واستغراقه سائر أجزاء قريتهم، أو رِحَالهم فَلم يُبْقِ منهم حتى ابن يوم واحد؛ ذلك أنَّ كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى.

ثم إنَّ معنى المبالغة للقراءة الثانية يلتقي مع روعة المعنى الناجمة عن التمثيل بالاستعارة التي أشار إليها الزمخشري وأبو حيان: «فإذ نزل بهم عذابٌ مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذرهم فأنكروه بحيث أنذر بهجومه قومَه وبعض صُنَّاعهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيرًا ينجِّيهم حتى نزل بفنائهم، فشنَّ عليهم الغارة فقطع دابرهم، وما فَصُحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تُحِسُّ بها. . . إلا لمجيئها على طريقة التمثيل» [86].

فإذا أضيف لذلك العذاب دلالة البناء للمفعول في فعل التنزيل «نُزِّلَ» من السرعة الخاطفة، والمباغتة السريعة، وعدم التوقع للعذاب النازل؛ بلغت المبالغة المعنوية أوجها فأُسقط في أيدهم، وندموا ولات ساعة مندم؛ لأنَّ العذاب فَجَأهم وداهمَهم على حين غرَّة دون أدنى احتياط أوَ توقُّع، ومن هنا نستنبطُ مناسبة صياغةً القراءة اللفظية للمعنى الذي جاءت دالة عليه من التضعيف أولا والبناء للمفعول ثانيًا.

كما ورد هذا اللون من البديع المعنويّ في قراءات هذه السورة أيضًا عند قوله تعالى: «**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**» (الصافات: 103).

- **القراءات التي وردت فيها:**

- قراءة الجمهور: (أسلما) [87].

- قراءة البعض: (سلَّما) بالتشديد للمبالغة [88].

- المعنى على الأولى: أي: أسلم إبراهيم ابنه لله، وأسلم الابن نفسه لله.

- المعنى على الثانية: فوَّضا إليه في قضائه وقدره وانحملا على أمره [89].

- **توجيه القراءة بلاغيًّا:**

نلمح من فعل المبالغة بالتضعيف في القراءة الثانية غاية الاستسلام، والخضوع لأمرٍ في غاية الغرابة والاستهجان والاندهاش، وهنا تقف القراءة موقف تتميم معنى الآية، والوصول به إلى غاية الغاية أو منتهاها؛ إذ ربما يتطرق إلى خَلَد الإنسان أو عقله شيء من الشك في تنفيذ الخليل أمرَ الذبح لشدة استغرابه، فجاءت بالفعل الذي يفيد سرعة تنفيذ الأمر بإخلاص مع الرضا به «بالفعل على غاية الإخلاص عند المُباشرة بجميع قُواهما في يد الأمر، ولم يكن عند أحد منهما شيءٌ من إباءٍ ولا امتناع ولا حديث نفس في شيء من ذلك» [90].

هذا بالإضافة إلى ملمح عدم المنازعة الذي يوحي به الفعل المُضَعَّفُ «معناه: سَلِمَ من أن يُنازَعَ فيه» [91]، وفي هذا غاية شدة الانقياد والخضوع.

كما وردت المبالغة أيضًا في قراءات هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾ (الصافات: 113).

- **القراءات التي وردت فيها:**

- قراءة الجمهور: (باركنا) بالألف [92].

- قراءة البعض: (برَّكنا) بالتشديد للمبالغة [93].

- المعنى على القراءة الأولى: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا [94].

- المعنى على القراءة الثانية: أي بالغنا في الإفاضة عليهما من بركات الدين والدنيا كثرةً ودوامًا.

- **توجيه القراءة بلاغيًّا:**

هنا ترتفع القراءة الثانية بالمبالغة إلى مرتقى كبير ومبلغ عظيم يُناسب بركة العليم القدير، فهي على ما ذكره البعض بأنَّ تلك البركة هي إخراج إسحاقَ من صلب إبراهيمَ، وإخراجُ أنبياء بني إسرائيل من صُلب إسحق [95]؛ فإنها لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى المبالغة والتكثير لتلك البركة التي أنعم الله تعالى بها على سيدَيْنَا إبراهيم وإسحاق بالنسل الشريف الطاهر، إلى إبقاء الثناء الحسن عليهما إلى يوم القيامة، وأَعْظِمْ بما في تلك المبالغةَ حينئذٍ من دوام وثبوت [96]، وأي دوام أثبت من لسان الصدق والثناء الجميل في الأولين والآخرين حتى يُبعث الخلق إلى يوم الدين.

خاتمة:

وهكذا يرسو هذا البحث إلى مرفأ نتائجه مسجلًا أبرز ما توصل إليه من فوائد التوجيه البلاغي الدلالية لقراءات آياتِ سورة «الصافات»، ولقراءات النظم القرآني عمومًا، وهي:

- تعدَّدت وجوه قراءات سورة «الصافات» البلاغية على عدد من المباحث المهمة، هي: الالتفات، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والمبالغة.

- ظهرت أنواعٌ لافتةٌ من أنواع الالتفات في توجيه قراءات هذه السورة قلَّما يظهر في التوجيه البلاغي لغيرها، وهو الالتفات في الأفعال: من فعل الأمر إلى الفعل الماضي، ومن المضارع إلى الماضي، والالتفات في الأعداد: من المفرد إلى الجمع.

- كانت للتوجيه البلاغي لقراءات هذه السورة دلالاتٌ بليغة، ومعانٍ جليلة ارتفعت ببلاغة النظم القرآني، أهمها:

1. الانتقال في المعنى الواحد من صورته الشائعة إلى صورة أخرى طريفة غير شائعة منه، مع ما يضفيه ذلك من تنشيط للذهن، واستدرارٍ لإصغاء سمعه، واستمالة لقلبه.

2. إثراء المعنى والانتقال به إلى جانب آخر منه، كالانتقال إلى جانب الإنكار العام للقضية دون النظر إلى تفصيلاتها أو

تفصيلات حالة جزئية منها.

3. الاستدلال على صحة حكم أُصوليٍّ فِقْهِي وهذا من أجد الجديد لفوائد دراسة التوجيه البلاغي لقراءات القرآن الكريم، ومزاياها.

4. مراعاة جانب اللفظ والمعنى، وتكميل معنى القراءة الأولى، والاحتراس من الفهم الخاطئ للوجه الآخر من القراءة.

5. مناسبة صياغة القراءة اللفظية للمعنى الذي جاءت دالة عليه.

6. تحديد دلالة بعينها، والانفراد بوصف جزءٍ من أجزاء المعنى المُراد.

7. تتميم معنى الآية والوصول به إلى غاية الغاية أو منتهاها.

كما يُرفِق الباحث بعضًا من التوصيات للباحثين الراغبين في إكمال مسيرة أمثال هذا البحث، ومنها:

1. تناول دراسة التوجيه البلاغي للسور القرآنية التي لم تُدرَس من قبل، على غِرار دراسة هذا البحث.

2. ضرورة التغلغل ومحاولة الوصول إلى المعاني الدلالية الدقيقة التي يُضفيها التوجيه البلاغي على قراءات آية معينة من كتاب الله، وعدم الاكتفاء بمجرد التوجيه توجيهًا بلاغيًّا للنوع العام فقط.

3. محاولة اكتشاف المميِّزات الخاصة بقراءات كل سورة تُدرس على حدة عن غيرها من قراءات السور الأخرى.

الهوامش:

1. انظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ط. د. ت. ص260.

2. انظر مثلًا: يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1983م، 1/ 173، وانظر أيضًا: شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية، جَدَّة، دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989، ص153.

3. الفراء، معاني القرآن، 1/ 173.

4. أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط2، 2000، ص25.

5. ويُذكر أن التوجيه من المصطلحات البلاغية البحتة في علم البديع، فمن أسماء التورية المغالطة والتوجيه والإيهام، كذلك فهو يُطلق على فن بديعي آخر قائم بذاته هو: إيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين. انظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، 1983، 2/ 397، وعبد العزيز عتيق، علم البديع، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1974، ص114.

6. إسماعيل بن حمَّاد، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، دار الحديث، د. ط. 2009، ص1230 – 1231، ومحمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3. د. ت. 15/ 225 – 226.

7. بدر الدين بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط3، 1984، 1/ 393.

8. أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص23.

9. السابق: ص30.

10. انظر مثلًا: محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1986، 1/ 55، وأحمد الخرَّاط، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، المدينة المنورة، مكأبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط. 1426هـ، ص14 – 15.

11. انظر: عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، دار القلم، ط1، 1996، ص722 – 724.

12. أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، مكتبة النهضة العربية، د. ط، 1985، 5/ 62.

13. ابن منظور، لسان العرب، 12/ 301.

14. محمد بن أحمد، الجامعُ لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، د. ت. 11/ 28.

15. عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1977، ص224.

16. محمد علوان، من بلاغة القرآن الكريم (المعاني – البيان – البديع)، غزة، مطبعة الرنتيسي، ط3، 2006، ص87، وعتيق، عبد العزيز، علم البديع، ص135.

17. يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1990، ص296.

18. معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، دار الفكر، ط2، 1970، 1/ 277.

19. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ط، د. ت. 1/ 178.

20. السابق: 2/ 167.

21. السابق: 2/ 167.

22. بعض المصادر البلاغية لا تورد هذا النوع في باب الالتفات، بل تورِدُهُ تحت أبواب أخرى كالخروج عن مقتضى الظاهر، أما المراجع الحديثة فتورِدُهُ في باب الالتفات.

23. انظر: أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص332.

24. انظر: صدام الديلمي. (د. ت). الالتفات في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ص42.

25. الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط1، 1977، ص301، ومكي ابن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحِججها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1984، 2/ 223، وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دمشق، دار سعد الدين، ط1، 2002، 8/ 12.

26. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

27. أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 28/ 600، حديث رقم (17370)، وأبو يعلى في مسنده 3/ 288، حديث رقم (1749)، وابن أبي عاصم في

كتابه السنة ص250، حديث رقم (571)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 6/ 824، حديث رقم (2843).

28. الحديث متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، 5/ 34، حديث رقم (3798)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الأشربة، 3/ 1382، حديث رقم (3587).

29. انظر مثلًا: محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1981، 26/ 126، ومحمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، 7/ 340.

30. انظر التوبة: 79، والأنفال: 30، والنساء: 142.

31. انظر: الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 1/ 170.

32. وهي وقوله تعالى: «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ» الصافات: 11.

33. الفراء، معاني القرآن، 2/ 384.

34. انظر: الديلمي، الالتفات في القرآن الكريم ص181.

35. محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998، 2/ 204، ومحمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط. د. ت. 23/ 79، والخطيب، معجم القراءات 8/ 17.

36. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

37. الزمخشري، الكشاف، 2/ 204.

38. الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 128.

39. فاضل السامرائي، معاني النحو، الموصل، د. د. د. ط. د. ت. 4/ 410 – 411.

40. عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط1، د. ت. 1/ 35.

41. السامرائي، معاني النحو 3/ 304.

42. طاهر بن عبد المنعم، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، د. ت. 1986، 1/ 199، ومحمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، مصر، المكتبة التجارية، د. ط، د. ت. 2/ 36، والخطيب، معجم القراءات 8/ 43.

43. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

44. الزمخشري، الكشاف 2/ 221.

45. انظر مثلًا: أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 354 – 355، وأصح الوجوه هو: أنه تعالى أمره بالذبح في الرؤيا، أو أراه في المنام أنه يذبح ابنه بأمر من الله، حيث تأكدت الرؤيا المنامية بالوحي الصريح من الله بالذبح انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 153.

46. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 155.

47. أبو عبيدة، مجاز القرآن 1/ 10.

48. إبراهيم بن السَّرِيْ، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988، 4/ 315، وابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان: 2/ 520، والخطيب، معجم القراءات 8/ 64.

49. عبد الله بن الحسين، أبو البقاء، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزّوز، بيروت، عالم الكتب، ط2، 1996، 2/ 384، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 362، والخطيب، معجم القراءات 8/ 65.

50. الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 170.

51. انظر مثلا: أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 362.

52. وانظر أيضا: طه: 85.

53. انظر: محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم، خرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، القاهرة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، د. ط، 1991، 13/ 7719.

54. الزمخشري، الكشاف، 2/ 236، وعبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001، 4/ 490، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 363، والخطيب، معجم القراءات: 8/ 67.

55. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

56. انظر الزمخشري، الكشاف، 5/ 236، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 363.

57. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 172.

58. ابن منظور، لسان العرب 11/ 64 – 65.

59. محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت. ص270.

60. الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

61. السابق: ص 108.

62. السابق ص109.

63. القيسي، الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 70، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 340، والخطيب، معجم القراءات: 8/ 15.

64. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

65. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

66. انظر مثلًا: ابن عاشور، التحرير والتنوير23/ 98.

67. ورأى البعض أن إذا تحتمل الشرط، وحينئذٍ تحتاج إلى جواب وهو محذوف يدل عليه جواب الاستفهام «إنا لمبعوثون». انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 340، ومحمد بن علي، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دق، دار الوفاء، د. ط، د. ت. 4/ 513.

68. انظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، الأردن، دار الفرقان، ط4، 1997، 1/ 170، ومحمد أبوسمعان، القطاف الداني في علم المعاني، غزة، مكتبة الطالب، ط1، 2017، ص74.

69. الألوسي، روح المعاني 23/ 114 – 115.

70. ابن منظور، لسان العرب 11/ 726.

71. السابق: 11/ 521.

72. محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الكتب

العلمية، د. ط، د. ت، ص151.

73. انظر عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، د. ط، د. ت، 2/ 63.

74. الجرجاني، دلائل الإعجاز ص222.

75. ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 467، و أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 339، وأحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، د. ط، د. ت، 2/ 295، وعمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، 16/ 283 – 284، و الخطيب، معجم القراءات: 8/ 10 – 11.

76. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

77. أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 339، وانظر أيضًا: السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 295.

78. انظر مثلا: محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، 7/ 186.

79. ابن منظور، لسان العرب 8/ 420.

80. انظر عبد الله ابن المعتز، البديع، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1983، ص65 – 66، وعتيق، عبد العزيز، علم البديع، ص81 – 82.

81. القزويني، الإيضاح ص376.

82. لفظة مرضعة تعني أنها تباشر الإرضاع الآن حيث تكوت أشد التصاقا برضيعها، أما مرضع فهي تطلق على من ترضع ولدها عموما من غير مباشَرة. انظر الزمخشري، الكشاف 4/ 174.

83. أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص467.

84. عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، دق، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط2،، 1969، 2/ 229، والزمخشري، الكشاف، 2/ 337، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 364، والخطيب، معجم القراءات: 8/ 69.

85. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

86. الزمخشري، الكشاف، 5/ 235، وانظر أيضًا أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 364.

87. ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 481، و أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 355، و الخطيب، معجم القراءات: 8/ 47.

88. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

89. انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 481، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 355.

90. إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت، 16/ 265.

91. الزمخشري، الكشاف، 222.

92. الزمخشري، الكشاف، 5/ 227، والألوسي، روح المعاني، 23/ 133، والخطيب، معجم القراءات، 8/ 50.

93. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

94. انظر مثلًا: الزمخشري، الكشاف، 5/ 227.

95. انظر مثلًا: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 159.

96. انظر مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ضبطه وخرج أحاديثه: أبو محمد الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، ص227، وأبو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب: 16/ 338.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1. ابن أبي طالب القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحِججها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1984م.

2. ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، دار المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ.

3. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ط، د. ت.

4. ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، مصر، المكتبة التجارية، د. ط، د. ت.

5. ابن الحجاج، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1989.

6. ابن جني، أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، دق: طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط2، 1969.

7. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001.

8. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط1، 1977.

9. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1986.

10. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001.

11. ابن غلبون، طاهر بن عبد المنعم، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1986.

12. ابن المعتز، عبد الله، البديع، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1983.

13. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، د. ت.

14. أبو حفص الحنبلي، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998.

15. أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.

16. أبو السعود، محمد بن محمد، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم). بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.

17. أبوسمعان، محمد، القطاف الداني في علم المعاني، غزة، مكتبة الطالب، ط1، 2017.

18. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، دار الفكر، ط2، 1970.

19. أبوموسى، محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت.

20. أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1984.

21. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها وفقهها، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1996.

22. الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.

23. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

24. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت.

25. بوعافيه، الجيلالي، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – سورة البقرة نموذجًا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005.

26. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ط، د. ت.

27. الجوهري، إسماعيل بن حمَّاد، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، دار الحديث، د. ط، 2009.

28. الخرَّاط، أحمد محمد، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، المدينة المنورة، مكتبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط. 1426هـ.

29. الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، دمشق، دار سعد الدين، ط1، 2002.

30. الديلمي، صدام، الالتفات في القرآن الكريم، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، د. ت.

31. الرازي، فخر الدين محمد، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1981.

32. الزجاج، إبراهيم بن السَّرِي، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988.

33. الزركشي، بدر الدين بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط3، 1984.

34. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998.

35. السامرائي، فاضل، معاني النحو، الموصل، د. د. ط، 1989.

36. السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1990.

37. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، د. ط، د. ت.

38. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط1، د. ت.

39. الشعراوي، محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم، خرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، القاهرة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، د. ط. 1991.

40. شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية، جَدَّة، دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989.

41. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دق، دار الوفاء، د. ط، د. ت.

42. شيخاوي، عمارية، التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري – نماذج، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة أبوبكر بلقايد، الجزائر، 2014.

43. الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، د. ت.

44. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، الأردن، دار الفرقان، ط4، 1997.

45. عتيق، عبد العزيز، علم البديع، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1974.

46. العكبري، أبو البقاء، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزّوز، بيروت، عالم الكتب، ط2، 1996.

47. علوان، محمد ونعمان، من بلاغة القرآن الكريم (المعاني – البيان – البديع)، غزة، مطبعة الرنتيسي، ط3، 2006.

48. الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1983.

49. القرشي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ضبطه وخرج أحاديثه: أبو محمد الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005.

50. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامعُ لأحكام القرآن والمبيِّنُ لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

51. القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت.

52. لاشين، عبد الفتاح، المعاني في ضوء أساليب القرآن، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1977.

53. محمد، أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط2، 2000.

54. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، 1983.

55. الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، دار القلم، ط1، 1996.

56. النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، مكتبة النهضة العربية، د. ط، 1985م.